الكتابة التأسيسية للمسجد العثماني العتيق بقلعة بني راشد بغليزان دراسة تحليلية فنية

د./ يحياوي العمري
قسم الآثار/كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان

مقدمة :

إن النقوش الأثرية تأتي في مقدمة المصادر الأثرية الأصلية التي لها أثر بالغ الأهمية في دراسة التاريخ والآثار على السواء، فنجدها تحتل المركز الأول بين مصادر هذه الدراسات، وذلك للدور الرئيسي الذي اضطلعت به في حفظ التراث بصفة عامة والتراث المعماري بصفة أخص من الزوال، بحيث تعد وثيقة أصلية لا يمكن الطعن فيها بسهولة، نظرا أيضا للمعلومات القيمة والمهمة التي احتوتها مضامينهما حيث لا يمكن تأريخ أي مبنى تأريخا صحيحا ودقيقا، إذا لم يتوفر هذا المعلم على مثل هذه الكتابات.

فهذه النقوش الأثرية هي الناطقة باسم المعالم الأثرية التي شيدت على مدار فترات التاريخ المختلفة، وبدونها تصبح هذه المنشآت هياكل صماء، لا نستطيع تقصي من هم مؤسسوها وما هي ظروف تأسيسها وإنشائها، مما يخلق لدى الباحثين جملة من الاحتمالات والترجيحات الممزوجة بالتكهنات والتخبط، وتتعاظم قيمة هذه الكتابات الأثرية المدونة، عندما يتعلق الأمر بالعمائر التي هي آيلة للاندثار أو تلك التي تعرضت لعمليات الترميم والتي فقدت بالتالي أغلب خصائصها المعمارية، فتصبح في هذه الحالة الدليل الوحيد على الآثار المندثرة، فكم من معلم أثري ذهبت أغلب ملامحه المعمارية وخصائصه الفنية، وبقيت نقوشه دليلا ومعينا للباحثين على تقصي تاريخه وحقائقه وأخباره .

ولقد كانت قلعة هوارة وجبل هوارة اللذان يقعان في الجزء الغربي من الجزائر مركزين علميين، إذ ساعدهما موقعهما الحصين على ضمان الاستقرار

الذي تتطلبه الحياة العلمية، حيث كان لهذه القلعة التي أصبحت فيما بعد تعرف بقلعة بني راشد دورا كبير في تاريخ الجزائر وخاصة في العهد العثماني، حيث تشهد على ذلك بعض المعالم الأثرية التي هي آيلة إلى الزوال، وخاصة المسجد القديم الذي يحتوي على كتابة تأسيسية نادرة جدا لم تحضى نصيبها من الدراسة والتي تعد وثيقة بالغة الأهمية في توثيق وتأريخ هذا المعلم المعماري، ومن أجل إثراء هذا الموضوع وتسليط الضوء على أهم جوانبه يتوجب علينا طرح إشكالية رئيسية وهي : ما مدى مساهمة الكتابات الأثرية في توثيق التراث العمراني والمحافظة عليه ؟، وتتفرع منها إشكاليات فرعية هي : ما هي أهمية الكتابات في مجال التراث العمراني بصفة عامة والعمراني بصفة خاصة، ما هي أيضا الآليات التي يتبعها المختصون في الكتابات الأثرية من أجل المحافظة على التراث العمراني ؟ ما هي أهم المضامين التي احتوتها هذه الكتابة وما هي الحقائق التاريخية التي أبانتها هذه الوثيقة المعمارية ؟ وما هي أهم التحديات التي تواجه هؤلاء في المحافظة على ذلك التراث ؟ .

موقع قلعة هوارة "بني راشد"

تقع قلعة هوارة أو قلعة بني راشد وهذه الأخيرة هي التسمية الحديثة لها في إقليم بني راشد، الذي يمتد حسب الحسن الوزان على طول نحو خمسين ميلا من الشرق إلى الغرب وعلى عرض يقرب من خمسة وعشرين ميلا، حيث نجد الجهة الجنوبية كلها عبارة عن سهول، أما الواقعة شمالا فجلها عبارة عن مرتفعات، ذات أراض خصبة صالحة للزراعة، وما يميز إقليم بني راشد هو كونه يتكون من تركيبتين من السكان، حيث نجد القسم الأول منهم هم سكان المدر، أو أولئك الذين يسكنون المرتفعات ويتخذون البيوت المبنية من الحجارة واللبن ويمتهنون النشاط الزراعي في الحقول والبساتين والكروم، وبه عدة قرى من بينها قلعة هوارة (بني راشد)، أما الصنف الثاني من السكان فهم سكان الوبر، أي أولئك الذين يعيشون تحت الخيام ويقتصر نشاطهم فنشاطهم على تربية الماشية والاعتناء بها إضافة إلى الخيول والإبل[1]. وفي نفس السياق نجد

1- لمزيد الإطلاع أنظر :
- الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، الطبعة الثالثة، ص26 .

مامول كاربخال يحصي في هذا الإقليم ثلاث مدن رئيسية، فالأولى هي بنوراشد وهي التي تسمت باسمها الإمارة وهي عاصمتها، حيث يزيد سكانها عن الألف وهي أقدم تلك المدن، حيث يقطنها أشراف الناس وأثريائهم وهي غير محصنة بسور، وهي عند بطليموس كانت تحمل اسم " فليبورك" وقد جعلها على اثنتي عشرة درجة وأربعين دقيقة طولا وعلى اثنتين وثلاثين دقيقة عرضا، أما المدينة الثانية فهي القلعة جعل بطليموس موقعها على اثنتي عشرة درجة وثلاثين دقيقة طولا وعلى إحدى وثلاثين درجة وعشر دقائق عرضا، وهي أكثر تحصينا ومناعة، بنيت على سفح تل جبلين عاليين، تحيط بها أسوار ذات أبراج على هيئة القلاع الحصينة يسكنها تجار وصناع مياسير، وهي التي شهدت الكثير من الأحداث التاريخية الهامة بدأ من استيلاء القائد الإسباني مارتين دار كوط، وهناك قتل العرب القائد الكورسيكي[1].

ولقد وصف قلعة هوارة [2] العديد من الرحالة والجغرافيين، حيث نجد يقول أبي عبيد الله البكري في القرن الخامس الهجري حيث يقول : ". . . وعلى مقربة منها أي مستغانم قلعة هوارة ويسمونها تاسفادالت، وهي قلعة جبل لها ثمار

1- مارمول كاربخال، إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي وآخرون، دار النشر المعرفة، الرباط-المغرب، 1409هـ/1988م، ج 2، ص 324.

2 - هوارة إحدى طوائف البربر وأعمدة نسبها، سموا بجدهم هوار بن أوريغ بن برنس بن بربر وأصل البربر على جزئين عظيمين البرانس وهم بنو برنس بن بربر، و البتر وهم بنو مداغس الأبتر بن بربر 2. ، ولقد سكنت هذه المنطقة إحدى القبائل الأمازيغية المتمثلة في في قبيلة "هوارة "، التي كان لها شأن كبير على مدار تاريخ المغرب، و في هذا السياق يقول ابن خلدون : "ومن قبائل هوارة هؤلاء بالمغرب أمم كثيرة في مواطن من أعمال تعرف بهم، وظواعن شاوية تنتجع لمسرحها في نواحيها، وقد صاروا عبيدا للمغارم في كل ناحية، وذهب ما كان لهم من الاعتزاز و المنعة أيام الفتوحات بسبب الكثرة، وصاروا إلى الافتراق في الأودية بسبب القلة ولله مالك الأمور، ومن أشهرهم بالمغرب الأوسط أهل الجبل المطل على البطحاء، وهو مشهور باسم هوارة وفيه من مسراتة وغيرهم من بطونهم ويعرف رؤسائهم من بني إسحق، وكان الجبل من قبلهم فيما فيما زعموا لبني يلومين، فلما انقرضوا صار إليه هوارة و أوطنوه، وكانت رياستهم في في بنب عبد العزيز منهم، ثم ظهر من بني عمهم رجل اسمه اسحق واستعمله ملوك القلعة، وصارت رياستهم في عقبه بني إسحق واختط كبيرهم محمد بن اسحق القلعة المنسوبة إليهم، أنظر : ابن خلدون، كتاب العبر، الجزء السادس، ص 190، ويضيف ابن سحنون الراشدي إلى ذلك بقوله: "وكذا هوارة كانت منهم أمة بهذا المغرب الأوسط، إليهم ينسب جبل هوارة الذي فيه بنو شقران وزجرارة وبنو غدو، وإليهم تنسب أكثر مداشره، ك : مسراتة و القلعة التي بناها محمد بن إسحاق أمة بهذا المغرب الأوسط، إليهم ينسب جبل هوارة الذي فيه بنو شقران وزجرارة وبنو غدو، وإليهم تنسب أكثر مداشره، ك : مسراتة و القلعة التي بناها محمد بن إسحاق "، أنظر كذلك :

ومـزارع وتحـت هـذه القلعـة يجـري نهـر سـيرات، وهـو النهـر الـذي يسقى بـه نهـر سيرات . . . "[1]، ، أشار إليها أيضا صاحب الروض المعطار بقوله : " وقلعة هوراة بـالمغرب بقـرب تـاهرت، وهـي قلعـة منيعـة في جبـل خـصيب فيـه بـساتين وثمـار وأشـجار ومـزارع وأعنـاب، وتحتهـا فحـص طولـه أربعـين مـيلا يـشقه نهـر سـيرات ويسقي أكثر أرضه فسمي ذلك الفحص سيرات باسم النهر ونهر سيرات نهر كبير ومشهور يقع في البحر عند مدينة أزواو "[2].

ومما زاد في أهمية القلعة هي حصانتها الطبيعية، حيث تمتاز بسلسلة جبلية تمثلت سلسلة جبال بني شقران، التي تضم إلى جانبها سلسلة جبال " البربر" التي تحيط بالمدينة، ويبلغ ارتفاعها حوالي 816م فوق سطح البحر غير بعيد عن واد القلعة.

وتشغل هذه الكتلة الصخرية كامل الجهة الشمالية الغربية للبلدة وتتميز بمنحدرات شديدة الوعورة، لتنتهي في الأخير عند سهول السمار، فهذه المميزات الطبيعية جعلت قلعة هوارة تضطلع بأدوار مهمة في تاريخ المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة[3].

وابتداء من القرن التاسع الهجري كانت قلعة هوارة وجبل هوارة مركزين علميين ، إذ ساعدهما موقعهما الحصين على ضمان الاستقرار الذي تتطلبه الحياة العلمية وقد ألحقت قلعة هوارة من ذلك العهد بموطن الراشدية وصارت تعرف بقلعة بني راشد بعد أن احتفظت باسم مؤسسها من قبائل هوارة حوالي ثلاثة قرون إذ أسسوها في القرن الخامس الهجري[4].

---

1 - أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص69

2-محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت 1405هـ/1984م، ص 470.

3- Troussel , (M), Kalaa des Beni Rached , In :Bulletin de la societe de géographie et d'archeologie d'Oran Tome 47 , année 1926 -1927 , p 31

4- المهدي البوعبدلي، تاريخ المدن، تحقيق عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة للطباعة والنشر، ص 240.

قلعة هوارة (بني راشد) في العهد العثماني :

لقد كان لقلعة بني راشد حضور قوي في العهد العثماني، حيث كانت مسرحا للكثير من الأحداث الهامة خلال الصراع بين الجيش العثماني والجيوش الإسبانية وقوات بني زيان، ونظرا لموقعها الاستراتيجي بحيث أنها تقع في المناطق الداخلية التي كانت بعيدة عن الأخطار التي كانت تأتي من الشريط الساحلي الذي كان منفذا للقوات الإسبانية، ونظرا لتوسطها بين الجزائر وتلمسان التي كانت محط أنظار العثمانيين، ولذلك اتخذها عروج قاعدة خلفية لجيشه .

ما إن تم عروج استعداداته حتى اندفع بجرأة باتجاه تلمسان وهو يقود قواته عبر الهضاب الداخلية بهدف تجنب الاصطدام بالحاميات الاسبانية المنتشرة على محيط وهران، وعندما وصل إلى قلعة هوارة قلعة بني راشد اتخذ منها قاعدة لحماية خطوط مواصلاته، نظرا لما كان يتوافر لها من المميزات الدفاعية، ونظرا لموقعها المناسب، حيث كانت تبعد مسافة 25 كم عن معسكر وتبعد عن مستغانم نحوا من 55 كم ووضع في القلعة حامية تضم ستمائة مقاتل، وكلفهم بتنفيذ عمليات صغرى لإزعاج الإسبانيين في وهران وحرمانهم من حرية العمل أو التحرك.[1]

فقد كانت قلعة بني راشد خط إمداد في غاية الأهمية كما أنها كانت تضمن الاتصالات بين تلمسان ومدينة الجزائر، وقبل مغادرتها ترك وراءه فيها مائتي جندي مسلحين بالبنادق يقودهم أخوه إسحاق[2].

خرج أبو حمو من وهران في أواخر شهر كانون الثاني يناير 1518م ومعه جموع من الأعراب بالإضافة إلى فرقة من الجيش الإسباني لحصار قلعة بني راشد حيث تمكنت هذه القوات من مباغتة الجنود الأتراك المحتمين وراء أسوار القلعة، وضربوا عليها حصارا[3] خانقا[1].

1- بسام العسلي، خير الدين باربا روس و الجهاد في البحر، دار النفائس، بيروت، 1980، ص 102.
2- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي1514-1830م، دار هومة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، الجزائر، 2005م، ص 48.
3- وهناك رسالة من D'Antonio Rico إلى قائدهLope De Hurtado De Mendoza مؤرخة في 27 فيفري 1518 م حيث يقول فيها : "سأنقل لك كل ما جرى في ذلك اليوم، فإليك ما وقع في تلك اللحظة، لا يزال ملك تلمسان بصحبة القايد أحمد و العرب يرابضون أمام القلعة، أين يحاصرون الإخوة باربا روس والأتراك، و في يوم 30 جانفي كانت هناك معركة شديدة، فقد على إثرها الأتراك 180 من رجالهم ولم يكن لديهم الوقت لأخذ معداتهم، حيث وقعت بين أيدي رجال الملك (يعني أبا حمو)، ولو لم يضعف هؤلاء وينهمكوا في النهب لكان =

وفي ظل هذه الظروف الصعبة اضطر الأتراك إلى طلب الصلح، بحيث يأذنوا لهم بمغادرة القلعة بجميع أشيائهم وأمتعتهم، فوافق المحاصرون على ذلك، وعندما خرج الأتراك من القلعة غدر بهم الأسبان وأغاروا على إسحاق ومن معه من الأتراك فقتلوهم جميعا[2].

وتمكن الاسبان وابو حمو من السيطرة على القلعة، بعد أن استسلم قائدها إسحاق وقد تضاربت الروايات في مقتله، فهناك من يقول أنه قتل من طرق سكان القلعة، الذين انقلبوا عليه، ورواية أخرى تتحدث عن مقتله من طرف أتباع أبوحمو[3].

-النقوش الكتابية على العمائر :

تعتبر الكتابات المنقوشة من العناصر الزخرفية الأكثر حضورا في العمارة والفنون الإسلامية، فقد استعملت على نطاق واسع في مختلف المعالم الأثرية والتحف الفنية حتى أضحت تشكل علامة ودليلا على نسبتها إلى الحضارة الإسلامية، وقد اجتهد الفنان المسلم في ميدان الكتابة والخط، فسخر الكثير من طاقاته ومواهبه للابتكار في هذا المجال، ويأتي هذا الاهتمام بسبب الارتباط الوثيق بين اللغة العربية والاسلام، فقد نزل القرآن الكريم بلغة قريش، وساد الاعتقاد بأن الخط هو وقف من الله تعالى ألهم عباده كيفية تركيبه حتى يستخدم في كتابة القرآن الكريم[4].

=كل شيءانتهى، ولكن للأسف فقد استغل الأتراك الذين كان عددهم يناهز 300 مقاتل ظلمة الليل وأخطاء العرب التي ارتكبوها من جراء جشعهم، ، و تمكنوا من الانسحاب إلى القلعة فهي مكان صعب الولوج إليه، وخاصة أنه كان محصنا جدا" أنظر :
-DOCUMENTS INÉDITS SUR L'HISTOIRE DE L'OCCUPATION ESPAGNOLE EN AFRIQUE1506-1574 PUBLIÉS PAR ORDRE DE M. LE MARÉCHAL DE MAC-MAHON, DUC DE MAGENTA, GOUVERNEUR GÉNÉRAL DE L'ALGÉRIE, A. JOURDAN, LIBRAIRE-ÉDITEUR, ALGER , 1875, p22.

1- بسام العسلي، المرجع السابق، ص 103-104.

2- محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة باربا روس 1512- 1543م، تصدير ناصر الدين سعيدوني، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 226.

3 - صالح عباد، المرجع السابق، ص 48

4- الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية في الغرب الإسلامي، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ذي الحجة 1430هـ/ديسمبر 2009م، ص 11.

-تعريف النقوش الكتابية على العمائر : والمقصود بها تلك النقوش التي تؤرخ لإنشاء العمائر الأثرية المتعددة، وما طرأ عليها من تعمير يتمثل في تجديد أو ترميم أو هدم أو إضافة أو غير ذلك، وتعرف هذه النقوش أيضا بالنقوش التأسيسية أو التسجيلية، ورغم أنها حظيت بدراسات كثيرة إلا أن القليل منها هو الذي اهتم بإبراز أهميتها كمصدر للتاريخ الإسلامي[1].

فهذه النقوش لها أهمية كبيرة على الجانب المعماري، حيث من خلال مضامينها كونها تحتوي على رصيد معرفي يساعدنا في تأريخ تلك المعالم الأثرية، فهي تشير في أغلب الأحيان إلى اسم صاحب المنشأة وتاريخ الإنشاء وتاريخ الفراغ منه أحيانا، كما تتضمن ماهية المنشأة سواء كانت جامعا أو مدرسة أو غير ذلك، وفي أحايين أخرى تمدنا بأسماء المهندسين الذين شيدوا البناء، وأهم ما يميزها من جانب المضمون هو ذكر البسملة ثم آية قرآنية ولا يشترط وجودها في كل النقوش، وغالبا ما تكتب في النقوش الإنشائية التي تؤرخ للعمائر الدينية كالمدارس والأضرحة وغيرها لبيان أن ما قام به المنشئ أمر من الدين، وبعدها يأتي فعل الإنشاء مثل : أنشأ هذا أو أمر بإنشاء هذا، ثم ألقاب وكنية واسم المنشئ والدعاء له بأن يخلد ملكه أو ينصره الله على أعدائه[2].

الخط في العهد العثماني :

لقد تجلى الفن عند العثمانيين في أبهى صوره في مجال الخط العربي، الذي ورثوه عن الأمم الإسلامية التي سبقتهم أو تلك التي كانت خاضعة لنفوذهم وسيادتهم، حيث وصل هذا الفن إليهم ناضجا وتقدموا به خطوات كبيرة إلى الأمام وطوروه وجودوه، وابتكروا منه خطوطا جديدة . فقد كان الخط العربي يمثل إليهم مصدر افتخار وقدسية ومما جعله يحظى بمكانة عظيمة لديهم، حيث يقول الأستاذ أوغوردرمان : إن في العالم الاسلامي مثلا سائد يقول : " نزل القرآن في الحجاز وقرئ في مصر وكتب في إستانبول[3].

1- محمد حمزة إسماعيل الحداد، المرجع السابق، ص 16- 18.

2 - دعاء السيد حامد أحمد، العبارات الدعائية على العمائر وشواهد القبور في شرق العالم الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن الهجريين/الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين دراسة أثرية فنية مقارنة، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 1432ه 2011م، ص 459.

3 - عبد الله عبد السلام الطحان، النقوش الكتابية على العمائر الدينية، دراسة تطبيقية على آثار مدينة الرشيد و البحيرة، دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع، ص 33.

ونلاحظ أن الاهتمام، والرعاية الفائقة لفن الخط العربي بدأت تظهر ملامحها بعد فتح القسطنطينية سنة 857هـ / 1453م، حيث بدأ عصر النهضة والازدهار يشمل كل مرافق الحياة، ومن أهمها ميدان فن الخط ، فمنذ عصر السلطان محمد الفاتح (القرن 09هـ 15م)، تم وضع أسس الخط العربي وإرساء قواعده، وبعد فتحهم للعالم الاسلامي (922- 923 هـ / 1516- 1517م) في عهد السلطان سليم الأول (918-927هـ/ 1512- 1520م).

وإزدادت العناية والاهتمام بفن الخط العربي حتى وصل ذروة حيويته ونضوجه في القرن العاشر الهجري، السادس عشر ميلادي على أيدي مجموعة من الخطاطين الأفداد أمثال : حمد الله الأماسي، وأحمد قره حصارى، والحافظ عثمان وغيرهم[1].

وقد اتجه العثمانيون إلى توظيف تلك الخطوط العربية في مختلف مجالات العمارة والفنون ووالمخطوطات، ولعل من أبرز تلك الخطوط المستعملة هو الخط المستدير، التي تمثل في خط النسخ والثلث، حيث يعتبر الأول قاعدة لهذا الأخير الذي تميز أكثر بسيقان طويلة ومستقيمة تتباين مع باقي الحروف النمط المستدير.

وقد وصل خط الثلث في القرن السادس عشر الميلادي إلى ذروة تطوره وتجويده، ليحل فيما بعد نوع آخر امتاز هو الآخر بحروف لينة وكبيرة الحجم سمي بخط الجلي، وقد شاع استخدامه في تزيين واجهات العمائر الدينية[2].

وأما في الجزائر في العهد العثماني فنجد ازدهارا للخط والكتابة باعتبارهما وسيلة من وسائل التعبير الجمالي، وساعد على ذلك غياب التصوير مما أتاح لظهور البعض من المواهب الفنية المحلية، حيث برع بعض الخطاطين والنساخين وانتشرت مهنتهم، وحظي ذلك بتقدير كبير بين الناس، فانتشرت الكتابة المنحوتة أو المنقوشة على جدران المساجد وأبوابها ومحاريبها، وكذلك القصور ونحوها من المنشآت[3].

1- عبد العزيز عبيد الرحمن مؤذن، فن كتابة المخطوط في العصر العثماني، ج 01، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المملكة العربية السعودية، 1410هـ / 1989م، ص 188.

2 - أوقطاي أصلان آبا، فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد محمد عيسى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون و الثقافة الإسلامية باستانبول، أستانبول، 1987، ص 307.

3- أبو القاسم سعد الله، ج2، 1500- 1830 ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1419هـ/1998م، ص448.

ولعل أبرز هؤلاء الخطاطين والنساخين من أبرزهم محمد بن عبد البربن أحمد بن شمس الدين التاهرتي الذي كتب جزءا من القرآن الكريم، وقد فرغ من انتساخه أواخر جمادى الأولى 987ه/1579م، وتألق هذا الأخير في تجويد الخط العربي ولاسيما الخط المغربي المبسوط المشكول الملون.

ونجد أيضا من بين هؤلاء الخطاط ابن صارمشيق الحاج حسين بن الحاج أحمد بن الحاج حسين الفرغلي التلمساني الذي كان حيا في حدود سنة 1131ه/1719م، حيث يقول عنه الحاج العربي المشرقي :" كان يضرب المثل بجودة خطه، حتى حكى أنه جعل باب تلمسان واوا بطين المطر مفتوحة، فلم يستطع كتاب الوقف أن يجعلوا مثلها –في الصحف أو في الألواح- أو المداد "[1]، وهو الذي كتب بعض النقوش الكتابية على واجهة مدخل ضريح أبي مدين شعيب بتلمسان، وكذا على جدار القبلة في جامع عين البيضاء بمعسكر.

وقد عرفت الناحية الغربية من الجزائر التي كانت تسمى بالقطاع الغربي أو الإيالة الغربية في قلعة بني راشد نهضة فكرية وعلمية تزعمها بعضا من تلامذة الشيخ محمد بن يوسف السنوسي مجدد علم التوحيد بالمغرب، حيث ذاع صيتهم في أنحاء المغرب العربي، وتكونت طبقة علمية وكان لآراء علمائها وزن في الفقه المالكي، حيث كثيرا ما كان هؤلاء يناقشون علماء الأزهر .

نص اللوحة التأسيسية :

1-الحمد لله حق حمده أما بعد

2- بعد أمربببناء هذا الجامع الأعظم

3-أمير المومنين المجاهد في سبيل رب العا

4- لمين المنصور بفضل الله المتوكل عليه

5- المعظم في جميع أموره على ربه مجند

6- الجنود المنصور الرايات والبنود أبي

7- المعالي مولانا حسين باي بن عثمان خلد الله

8- ملكه وأدام عزه ونصره قصد بذلك

1- محمد المنوني، لمحة عن تاريخ الخط و الزخرفة في الغرب الإسلامي، المجلة التاريخية المغربية، العدد 53-54، تونس، 1989 ص217.

9- وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم
10- بتاريخ ربيع الثاني عام ثلاثة وسبعين ومائة وألف.

الوصف : هي عبارة عن لوحة مصنوعة من الرخام مربعة الشكل، مثبتة في السور الخارجي للمسجد، مقاساتها : 60 سم X 60 سم وقد احتوت على تسعة عشر سطرا، نفذت كتابتها بخط الثلث المغربي وبأسلوب النقش البارز، وقد تضمن الإطار الكتابي للوحة قوسا على شكل مدخل بعقد مفصص، نفذت الكتابات بالخط المغربي بأسلوب النقش البارز، أما في أركان هذا العقد المفصص فقد وظف عليه الفنان بعض الوحدات الزخرفية النباتية، التي تمثلت في بعض المراوح النخيلية المحورة عن الطبيعة، كما احتوت الكتابة على نقط الإعجام حركات الشكل، واللوحة تحتوي على عشرة أسطر، وهي في حالة سيئة من الحفظ. كونها تعرضت إلى كسر قسمها إلى جزئين .

التفسير التاريخي والأثري :

هذه اللوحة التأسيسية المصنوعة من الرخام، مغروزة في أحد جدران مسجد رأس القلعة، وهو معلم في غاية البساطة، يقع بمحاذاة الطريق المؤدية إلى حي السوخ محاطا ببعض الدور، فهذه النقيشة التي تتضمن تاريخ بناء الجامع لا تشير إلى المسجد الحالي المثبتة في أحد واجهته (الواجهة الجنوبية) .

وإنما إلى معلم دينيا آخر بني حسب نصوص اللوحة التأسيسية في حدود سنة 1170ه/ 1756م من طرف الباي حسن باي بن عثمان، وبالنظر إلى صيغة التضخيم التي وصف بها " الجامع الأعظم " يتبين أن هذا الجامع كان في غاية الجمال والهندسة المعمارية، ولقد أشار إلى ذلك المستشرق الفرنسي " Troussel" إلى أن هذا المسجد، كان من بين المنشآت التي شيدها الباي مصطفى بوشلاغم عند نقل كرسي مركز مملكته من مازونة إلى قلعة بني راشد، حيث قام ببناء بعض الهياكل العمرانية ومن بينها الفرن والمسجد العثماني الذي دمر بالكامل وفقد كل أجزائه إثر الزلزال المدمر الذي ضرب المنطقة في سنة 1887م، ولكن حسب مضمون النقيشة التأسيسية فإنها تشر إلى مسجد بناه الباي حسن بن عثمان، الذي تتوافق سنة الإنشاء مع مدة حكمه الذي أجمعت المصادر على أنها دامت ثلاث سنوات أي من سن 1170هـ – 1756م إلى غاية سنة 1173هـ-1759م .

حيث يقول محمد بن القاسم الزياني في ذلك : "رابع عشرينهم : حسن باي تولى سنة 1170ه وهرب من ملكه لأسطنبول لما أهانه باشا الجزائر، وشدد عليه وأذله ثم خلفه أبو إسحاق إبراهيم المليانى سنة 1173ه[1].

فسنة 1170ه-1756م هي المكتوبة في اللوحة الرخامية وهي في الوقت نفسه بداية حكم هذا الباي ومن المحتمل جدا أن باشر هذا الأخير ملكه كغيره من ملوك الإسلام ببناء المسجد، حيث كان بناء هذه المنشآت الدينية من التقاليد المعمارية التي سار عليها الحكام على مدار التاريخ الإسلامي أسوة بالرسول صلى الله عليه وسلم، وحتى تخلد مآثرهم أيضا، ولكن ما يبث الريبة والشك هو أن أغلب المصادر والمراجع لم تتناول بإسهاب تاريخ حكم هذا الباي، الذي ماتزال دوافع إهانته وعزله من طرف باشا الجزائر غامضة، في حين أن وحسب نصوص النقيشة فقد حاز على مختلف ألقاب السلطة الفخرية مثل "أمير المؤمنين"، "أبي "المعالي" مجند الجنود والمنصور الرايات والبنود" .

ومن الناحية الزخرفية نرى بوضح تأثيرات الفن الزياني جلية على هذه النقيشة حيث زين النقاش الفراغ الموجود في الركن الأيمن والأيسر من العقد مجموعة من الزخارف النباتية، التي تميل أكثر إلى التجريد، وهي أحدى الخصائص الفنية التي ميزت الفن المغربي الأندلسي منذ عصر المرابطين الذين تأثروا بدورهم بالفن القرطبي الأندلسي ومحاكاتها في الوقت ذاته لمظاهر الطبيعة، قوام عناصرها موضوعات توريقية موخزة الأطراف ومشقوقة البتلات، رتبت بنمطين رئيسيين، الأول روعي في ذلك الأسلوب التناظري والتماثلي، والثاني عكس ذلك، أن مدت الأوراق بحسب ما تسمح به المساحة المراد ملؤها بتلك الورقة، ولذلك يلاحظ على وضعها التركيبي عدة أوجه، فهي تنحني يمنة ويسرة وتتماوج في صعود واختيال[2]

والملاحظ أنه في عصر بني عبد الواد لا نكاد نجد مراوح نخيلية في غاية الأناقة والتنوع مثلما كانت موجودة في عهد المرابطين، فنجد اختفاء لورقة الأكانتوس، حيث

1- محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، ص 258، أنظر كذلك : - مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب و المسافر، ص 21.

2 - محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة و الفنون الإسلامية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ، ص86.

استبدلت بمراوح لا يكاد يوجد بها عنصر التوريق[1]، كما بقيت العروق والسعفة النخيلية التي بسطت وقلصت وعزلت غالبا عن ساقها، فأصبحت تصلح لملئ الفراغ فكسبت السعفة بخطوطها المنقوشة على وجه غالبا ما أعيد ثقبها[2]. فهذه التفاصيل الزخرفية النباتية قد رأينا أنها انتقلت تأثيراتها من التراث الفني لبني زيان لتزين بها مختلف المنشآت المعمارية والفنية للدولة العثمانية، حيث ساد هذا النوع من الزخرفة التوريق على بعض المنشآت العثمانية في الغرب الجزائري ويظهر ذلك جليا في زخرفة جصية على جدار بيت الصلاة في جامع العين البيضاء بمعسكر.

والملاحظ على هذه النقيشة استخدام الفنان للمراوح النخيلية بكل أنواعها البسيط الملساء والمزدوجة، حيث يظهر أن السعفة النخيلية قد استخدمها النقاش في هذه اللوحة ومن أجل ملئ المساحات الشاغرة نظرا لحجمها، إضافة إلى فالمراوح النخيلية المزدوج تتفرع من نهايتها أجزاء من مراوح صغيرة وتتشابك فيما بينها، وكذلك المراوح البسيطة تميزت بالتكرار والتداول والنتشار على كل مساحة العقد المفصص للوحة، مما أعطاها رونقا وجمالا خاص.

- التحليل الأبجدي:

صورة الألف :

نقشت مفرد مطلق في لفظ الجلالة "الله "، "أما"، "أمير"، " المنصور"، " العظيم"، " ثوابه"، " "الثاني" وعلى شاكلة ألف محرف اتجاه اليمين في الألفاظ التالية : "الجنود، " البنود"، " أبي "، أما الفرد المحرف نحو الشمال فنجده في لفظ الجلالة " الله " وفي المفردات التالية:" المنصور"، " الرايات "، "، وأما أخيرا الصورة الألف المركب الصاعد فتمثلت في الكلمات التالية : "بناء "، "الجامع"، "المجاهد"، " العالمين"، المعالي"، "عثمان" .

صورة الباء وأخواتها : كتبت مفردة مجموعة في كلمة " رب"، وأما ضرب المركبة المبتدأة فتجلى في العبارات التالية : "ببناء "، "بفضل "، "ربه "،

1 - Rachid Bourouiba , L'Art Religieux musulman Algérie ,société nationale d'Edition ,Alger 1983 , p203.

2 - وليام مارسي وجورج مارسي، تراث تلمسان المعماري في القرون الوسطى، ترجمة سعيد دحماني، مؤسسة الرجاء للطباعة و النشر، قسنطينة، الجزائر، ص99.

"أبـي "، "بـاي "،" "بـذلك"، " ثوابـه" "بتـاريخ"، " ربيـع"، "ثلاثـة "، وأمـا المركبـة المتوسـطة فنجـدها في الألفـاظ التاليـة : " ببنـاء"، "سـبيل"، " عثمـان"، " البنـود"، " "بتاريخ"، " الثاني"، " سبعين" .

- صورة الجيم وأخواتها :

نقشت مبتدأة مروسة في لفظة " حق"، "جميـع"، " حسـن "، " رجـاء"، وأمـا المركبـة المتوسـطة فنجـدها في " الحمـد"، "الجـامع"، " المجاهـد"، " مجنـد"، " الجنود"، " خلد"، " قصد"،" بذلك" .

- صـورة الـدال : نقـشت مفـردة مجموعـة في عبـارة " الجنـود "،" البنـود"، " أدام"، وأمـا المركبـة المجموعـة المطرفـة فقـد تمثلـت في الكلمـات التاليـة : "الحمد"، "حمده"، " بعد" "هذا"، "المجاهد".

- صورة الراء : رسمت مفردة مبسوطة في عبارات "رب"، " المنصور "، وأمـا المفردة المدغمة فنلاحظها في العبارات التالية : " رب"، رجاء"، " بتاريخ"، " ربيـع"، وأما الراء المجموعة المطرفة فانحصرت في لفظة " أمير ".

- صـورة الطـاء : اقتـصرت صـورتها علـى المركبـة المتوسـطة في لفظـتي "الأعظم"، "العظيم"

- صورة الكاف : وقد كتبت على شاكلة المركبة المتوسطة المبسوطة في عبارة : "ملكه"، وأما المبتدأة المشكولة فنجدها في لفظة "المتوكل" .

- صـورة الـلام : نقـشت مبتـدأة مركبـة في أغلـب الكلمـات المعرفـة مثـل : لفـظ الجلالـة "اللّه"، "الحمـد"، "الجـامع"، "الأعظـم"، "المجاهـد"، "العـالمين"، "المنـصور"، "المتوكـل"، "المعتمـد"، "الجنـود"، "البنـود"، "الرايـات"، ، "العظـيم"، "الجـسيم"، أمـا المركبـة المتوسـطة فنجـدها في لفـظ الجلالـة " اللّه"، وأيـضا في الألفـاظ التاليـة : "علـى"، "عليـه"، "خلـد"، "ملكـه"، وأمـا المركبـة المطرفـة فنلاحظها في الكلمات التالية : "سبيل"، "بفضل"، "المتوكل".

- صورة الميم : كتبت مفـردة مجموعـة مرسلة في عبـارة : "عـام"، ومبتـدأه مثلثـة في لفظـة : "أمـر"، "مجنـد"، أمـا المبتـدأة المجموعـة المحققـة فنجـدها في

العبـارات التاليـة : "أمـا"، "أمـير" "المـؤمنين"، "مولانـا"، "المجاهـد"، "المنـصور"، المعتمـد"، "ملكـه"، "مايـة"، أمـا المركبـة المطرفـة المعلقـة فنجـدها في عبـارتي : "العظيم "، "الجسيم"

- **صـورة النـون :** نقـشت مفـردة مجموعـة في كلمـة "عثمـان"، ومركبـة مجموعـة في لفظـة "بـن"، وأمـا المبتـدأة المركبـة فنجـدها في كلمـتي : "نـصره"، "الثـاني "، وأمـا المركبـة المتوسـطة فنلاحظهـا في المفـردات الآتيـة : "ببنـاء"، "المؤمنين"، "مجند"، الجنود"، "المنصور" "البنود" .

- **صـورة الـصاد :** اقتـصرت كتابتهـا علـى صـورة المركبـة المتوسـطة في الكلمات التالية : "المنصور"، "بفضل"، "نصره"، "قصد".

- **صـــورة العـــين :** نقـــشت مبتـــدأة نعليـــة في الكلمـــات التاليـــة : " الأعظـم"، "عليـه"، "علـى"، ومبتـدأه صـادية في عبـارتي "عثمـان"، "عـام"، أمـا المتوســطة المربعــة المفتوحــة فنلاحظهــا في العبــارات التاليــة : "بعــد"، "العالمين"، "المعتمد"، "المعالي"، "المعظم"، "العظيم"، "سبعين" وأما المركبة المطرفة المرسلة فنجدها في : "جميع"، "ربيع ".

- **صورة الفـاء :** جـاءت مبتـدأة مركبـة في المفـردات التاليـة : "في"، "قـصد"، أمـا المتوسطة فنلاحظها في "بفضل، وأما المطرفة المجموعة فنجدها في لفظتي : "حق"، "ألف".

- **صـورة الـسين :** كتبـت مركبـة مبتـدأة في لفظـة : "سـبيل"، وصـورة المركبـة المتوسـطة في عبـارات : " حـسن "، "الجـسيم "، وأمـا المركبـة المبتـدأة المعلقة فنجدها في لفظة : "سبعين" .

- **صورة الهاء :** كتبت مبتدأة على شاكلة وجه الهر في عبارة "هـذا"، " المجاهـد"، أمـا المحدودبـة فنجـدها في لفظـة الجلالـة "اللّه"، "عليـه"، "ربـه"، "ملكه"، " وجه"، "ثوابه"، "ثلاثة".

، "ماية"، وأخيرا المفردة المثلثة التي ظهرت في فنجدها في المفردات التالية : "حمده"، "أموره" "عزه"، "نصره" .

- **صورة الواو :** نقشت مفردة مجموعة في حرف العطف " واو" وكذلك في كلمـة " وجـه"، وأمـا المركبـة المتوسـطة فنلاحظهـا في عبـارات : " المـؤمنين"، "المنصور"، " المتوكل"، "الجنود"، البنود"، "مولانا"، "ثوابه" .

- صورة الياء :

رسمت مفردة مجموعة في لفظة : "باي"، "أي"، وأما المبتدأة المركبة فتمثلت في عبارات "الرايات"، "بتاريخ"، "ماية، وأما المتوسطة المركبة نلاحظها في الكلمات التالية : "أمير"، "المؤمنين"، "سبيل"، "العالمين"، "العظيم"، "ربيع"، "سبعين"، وأخيرا صورة الياء الراجعة، التي نلاحظها في الألفاظ الآتية "أبي"، "المعالي"، "الثاني" أما المطرفة المجموعة فنجدها في حرف الجر "على" .

صورة اللام ألف : نقشت مبتدأة مرشوقة في لفظة " الأعظم " ومركبة متوسطة في عبارة "ثلاثة "، والمفردة المحققة في كلمة "مولانا" .

التفسير اللغوي والأثري :

أعجمت حروف هذه الكتابة التأسيسة على نفس منوال الطريقة المغربية في العبارات التالية : "حق"، "في "، "بفضل"، "ألف.

أما ظاهرة الشكل فتركزت أساسا في :

الفتح : وتمثلت حرف الام في لفظ الجلالة " اللّه "، وفي حرف القاف في لفظة "حق"، حرف الميم في كلمة "أما"، وفي الراء في لفظة "أمر"، والسين في عبارة "سبيل"، وفي خرف العين في حرف الجر " على" وفي حرف الميم في كلمة "مولانا"، ، وحرف النون في كلمة "المؤمنين" وفي حرف السين في كلمة "سبيل"، والباء في كلمة "رب"، وحرف اللام في لفظ الجلالة "اللّه"، وحرف الجيم في كلمة "جميع"، وفي حرف الظاد في لفظة "المعظم"، وفي حرف الراء في كلمة "رجاء"، وفي حرف الجيم في كلمة "جميع"، وأيضا في واو العطف، وأيضا في حرف القاف في لفظة مقام"، أما حركة الضم فنلاحظها في الحروف التالية : حرف الميم في كلمة " المؤمنين "، ونفس الحرف في كلمة "أموره"، وفي حرف الجيم في لفظة " الجنود"، وأيضا في حرف الهاء في كلمة "ملكه" .

أما السكون فانحصر في حرف الياء في لفظة " عليه" وفي خرف الدال في كلمة "الجنود" ونفس الحرف في عبارة "وجه" . والملاحظ في هذه اللوحة توظيف النقاش بعض الحركات الإعرابية الأخرى التي قلما نراها في الكتابات العثمانية، وهي استخدام الشدة فوق الحروف، وهذا ما يبين تحكم النقاش في

الجانب اللغوي والبلاغي، حيث لا يخفى علينا أن هذه المنطقة " قلعة هوارة " ' بني راشد " قد أنجبت طبقات العلماء الذي برعوا في شتى العلوم، ومنهم الشيخ مصطفى الرماصي والشيخ الحافظ أبي راس الناصري، وبعض الكتاب الذي لازموا بعض بايات الغرب الجزائري ومنهم : الشيخ أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي صاحب كتاب "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" .

تحليل الصيغ والعبارات :

الشعارات :

مجند الجنود، المنصور الرايات والبنود:

جند الجنود : جمعها، وفلان صيره جنديا، وتجند اتخد جندا.

الجند : العسكر والأنصار والأعوان جمعه أجناد وجنود، والجندي واحد الجنود

والجند : العسكريون من مختلف المناصب والرتب[1]، فقد أورد لنا صاحب كتاب التعريف بالمصطلح الشريف رسما من هذه المكاتبات التي كانت بين السلطان المريني صاحب بر العدوة والملوك السلاطين والتي ذكر فيها شعار "مجند الجنود عاقد البنود" وغيرها من الألقاب والشعارات السلطانية والفخرية الأخرى[2]

وقد استخدمت هذه العبارات أيضا في جواب الكتاب الوارد على الملك الناصر "محمد ابن قلاوون" من أبي الحسن علي المريني صاحب فاس المغرب ما نصه " . . . من أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين . . . مجند الجنود المنصور الرايات والبنود . . . "[3] والمراد بهذه العبارة هي وصف الحاكم أو

---

1 - محمود شيت حطاب، المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، 1386هـ / 1966 م، ص . 157-158.

2 - شهاب الدين ابن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق : محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1988، ص 39 – 40.

3- ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر في ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج07، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 2001، ص 352؛ - أبو العباس أحمد القلقشندي، ج 7، ص 395؛ - أحمد بن خالد الناصري السلاوي، ، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،ج04، تحقيق وتعليق : أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، الدار البيضاء، المغرب، 1422هـ/2001م، ص137 .

السلطان بشتى الصفات والخصال الحربية العسكرية، التي تنم عن قوة السلطان أو الحاكم، من تجهيز للجيوش وتجنيده لخوض غمار الحروب.

- العبارات الدعائية :

1- خلد الله ملكه ملكا عليا وهما على الأمة واليا وسميا :

لقد استخدم هذا الشعار في المدرسة القادرية التي توجد بداخل المسجد والتي وقفها ناصر الدين محمد بن عبد القادر بعد أن عمرتها زوجته مصر خاتون حيث كتب على نقيشة وقفية ما يلي : " أنشأت هذه المدرسة المباركة الدر المصونة مصر خاتون زوجة الأمير ناصر الدين محمد بن عبد القادر في أيام مولانا السلطان الملك الأشرف خلد الله ملكه وذلك بتاريخ شهر ربيع الآخر سنة ستة وثلاثين وثمانمائة "، وقد كان بناؤها في سلطنة الملك برسباي سنة 836هـ/1432م بالخط النسخي المملوكي[1]، وأيضا ورد هذا الشعار الذي كان يطلق على سلاطين المماليك في ما كان يكتب في كتاب البشارة بركوب الميدان الخاصة بالسلاطين المملوكين كل سنة في مصر حيث يقول " وأن مولانا السلطان خلد الله ملكه طلع عليهم طلوع البدر عند الكمال وحوله المماليك الشريفة كالأنجم الزاهرة لا تعد ولا تشبه بمثال[2]، ونجد هذا الشعار على المسكوكات العثمانية على دينار باسم السلطان مراد الثالث وهو محفوظ بالمتحف الوطني للآثار القديمة تحت رقم 06 " ملك البرين والبحرين والشام والعراقين خلد الله ملكه". [3]

- الألقاب :

أمير المؤمنين : هو من الألقاب المركبة على لقب "أمير" ويقصد بالمؤمنين المصدقين تصديقا قلبيا بعقيدة الإسلام مصداقا لما جاء في الآية الكريمة " **قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**"[4]، واتخذه الحاكم الإسلامي الأعلى لصلته الوثيقة بطبيعة مهمته ودقته في التعبير عن طبيعة السلطة التي

1- عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، الجزء الأول، ط 05، مطبعة المعارف، القدس، 1999، ص 253.

2- محمد الششتاوي، ميادين القاهرة في العصر المملوكي، دار الآفاق العربية، ط 01، القاهرة، 1999، ص 106.

3- درياس يمينة، السكة الجزائرية في العهد العثماني، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص 145.

4 -سورة الحجرات، الآية 14.

خولتها الأمة لهذا الحاكم، أول من تلقب به الخليفة الراشدي الثاني عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، حيث يقول ابن خلدون:" أنه لما بويع أبو بكر رضي الله عنه وكان الصحابة رضي الله عنهم وسائر المسلمين يسمونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن هلك فلما بويع لعمر بعهده إليه كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأنهم استثقلوا هذا اللقب بكثرته وطول إضافته، واتفق أن دعا بعض الصحابة عمر رضي الله عنه يا أمير المؤمنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به[1]، وظل العمل به شائعا حتى العصر العثماني، إلى جانب ما استحدثه السلاطين والملوك من ألقاب أخرى عبر فترات التاريخ[2].

المجاهد في سبيل رب العالمين :

وهو من الألقاب السلطانية، والمراد المجاهد في سبيل الله تعالى، وربما أستعمل في ألقاب السامى من غير ياء فما دونه، والمجاهدي نسبة إليه للمبالغة، وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف كنواب السلطة ونحوهم[3]، وظهر هذا اللقب منذ القرن الخامس هجري كصدى لبعث روح الجهاد الذي قام على إثر نهضة المذهب السني، وتصدى نور الدين محمود وصلاح الدين لمناهضة الصليبيين جديا ويشير هذا اللقب إلى تسجيل موقف معين وقفه صاحب اللقب[4]. وجاء أحيانا مرادف لكلمة" في سبيل الله " وأحيانا تضاف إليه عبارات أخرى فيصبح : " المجاهد في سبيل رب العالمين " وَقَوْلُهُ تَعَالَى : **" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ "**[5].

1 - عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة. . . ، المصدر السابق، ص 282- 283.
2 -مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، ص 47.
3 - القلقشندي، المصدر السابق، ج6، ص26.
4 - مصطفى بركات، المرجع السابق، ص 56.
5 - سورة العنكبوت، الآية 69.

الخاتمة:

هذه النقيشة التأسيسية تضمن العديد من الحقائق التاريخية التي ما يزال يكتنفها الغموض، وتعد في نفس الوقت وثيقة تاريخية لا يمكن الطعن فيها بسهولة، فهي تحوي الكثير من المعلومات عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني لاسيما الناحية الغربية، كما تؤرخ لأبرز الإنجازات العمرانية والفنية في هذا العهد، وتصحح الكثير من الأخطاء التاريخية التي وقع فيها الباحثون الغربيون والعرب، حيث إلى وقت قريب كان يعتقد بعض هؤلاء المؤرخين أن هذه النقيشة تشير إلى المسجد الذي بناه الباي مصطفى بوشلاغم، ولكن الحقيقة العلمية تؤكد عكس ذلك فباستنطاق نصوص هذه اللوحة ودراستها تبين لنا أن هذا الأثر الفني يعود إلى فترة حكم حسن باي الذي ما تزال مدة حكمه يلفها الغموض، مما يدعوا الباحثين والمختصين في الشأن العثماني إلى تكثيف البحوث والدراسات، حتى يمكننا الإجابة على التساؤلات التي تطرح كلما تعلق الأمر بتاريخ الجزائر في العهد العثماني.

بيبليوغرافيا :

- الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، الطبعة الثالثة.

- مارمول كاربخال، إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي وآخرون، دار النشر المعرفة، الرباط-المغرب، 1409هـ/1988م، ج 2.

- ابن خلدون، كتاب العبر، الجزء السادس.

- أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

- محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت 1405هـ/1984م.

- المهدي البوعبدلي، تاريخ المدن، تحقيق عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة للطباعة والنشر.

- بسام العسلي، خير الدين باربا روس و الجهاد في البحر، دار النفائس، بيروت، 1980.

- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي1514-1830م، دار هومة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، الجزائر، 2005م.

- محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة باربا روس 1512-1543م، تصدير ناصر الدين سعيدوني، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 226.

- الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية في الغرب الإسلامي، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ذي الحجة 1430هـ/ديسمبر 2009م.

- دعاء السيد حامد أحمد، العبارات الدعائية على العمائر وشواهد القبور في شرق العالم الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن الهجريين/الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين دراسة أثرية فنية مقارنة، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 1432ه 2011م.

- عبد الله عبد السلام الطحان، النقوش الكتابية على العمائر الدينية، دراسة تطبيقية على آثار مدينة الرشيد و البحيرة، دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع.

- عبد العزيز عبيد الرحمن مؤذن، فن كتابة المخطوط في العصر العثماني، ج 01، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المملكة العربية السعودية، 1410هـ / 1989م.

- أوقطاي أصلان آبا، فنون الترك وعمائرهم، ترجمة أحمد محمد عيسى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون و الثقافة الإسلامية باستانبول، أستانبول، 1987.

- أبو القاسم سعد الله، ج2، 1500- 1830 ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1419هـ/1998م.

- محمد المنوني، لمحة عن تاريخ الخط و الزخرفة في الغرب الإسلامي، المجلة التاريخية المغربية، العدد 53-54، تونس، 1989.

- محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنبس السهران في أخبار مدينة وهران.

- مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب و المسافر.

- محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة و الفنون الإسلامية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

- وليام مارسي وجورج مارسي، تراث تلمسان المعماري في القرون الوسطى، ترجمة سعيد دحماني، مؤسسة الرجاء للطباعة و النشر، قسنطينة، الجزائر.

- محمود شيت حطاب، المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، 1386هـ / 1966 م.

- شهاب الدين ابن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق : محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1988.

- ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر في ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج07، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 2001.

- أبو العباس أحمد القلقشندي، ج 7.

- أحمد بن خالد الناصري السلاوي، ، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،ج04، تحقيق وتعليق: أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، الدار البيضاء، المغرب، 1422هـ/2001م.

- عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، الجزء الأول، ط 05، مطبعة المعارف، القدس، 1999.

- محمد الششتاوي، ميادين القاهرة في العصر المملوكي، دار الآفاق العربية، ط 01، القاهرة، 1999.

- درياس يمينة، السكة الجزائرية في العهد العثماني، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.

- مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة.

- Troussel, (M), Kalaa des Beni Rached, In : Bulletin de la societe de géographie et d'archeologie d'Oran Tome 47 , année 1926 -1927.

-DOCUMENTS INÉDITS SUR L'HISTOIRE DE L'OCCUPATION ESPAGNOLE

EN AFRIQUE1506-1574 PUBLIÉS PAR ORDRE DE M. LE MARÉCHAL DE MAC-MAHON, DUC DE MAGENTA, GOUVERNEUR GÉNÉRAL DE L'ALGÉRIE, A. JOURDAN, LIBRAIRE-ÉDITEUR, ALGER , 1875.

- Rachid Bourouiba, L'Art Religieux musulman Algérie, société nationale d'Edition, Alger 1983.